سـوق الأنتيك تشهد تراجعا في حركة البيع نتيجة تردي الأوضاع السياسية والأمنية بأكثر من 70 بالمئة عما كانت عليه في السنوات الماضية.

سوق الأنتيك في بيروت ارتبطت بالطبقة الأرستقراطية التي تتميز بشغفها بالقطع القديمة النادرة، وتفتش عمن يمتلك ويقتني التحف والأثاث العتيق.

محلات الأنتيك في بيروت تتحول إلى صناديق للذكرى

● سوق جذبت الأغنياء والمشاهير من الشرق والغرب ● ترميم التحف فن في طريقه إلى الزوال





تحف بحكاياتها وأسرارها

في سـوق الأنتيك في بيروت دعوة إلى اكتشاف الأسرار وسبر أغوار التاريخ، واكتشاف الماضي من خلال تحف تروي بصمتها العميقة ألف حكاية وحكاية. وللماضي في سـوق العتّق في منطقة البسـطة في بيروت رائحة الذكريات، وحنين الحاضر إلى الماضي وحنين المسـتقبل إلى الحاضر. وسـوق العتّق أو الأنتيك اسـم اقترن بمنطقة حوض الولاية في البسـطة، حيث يتم في هذا السـوق بيع وشـراء الأثاث والتحف القديمـة. وكان يقصد السـوق في الماضي القريب زبائن من مختلف الجنسـيات والطبقات لبيع وشراء التحف النحاسـية والزجاجية والخشـبية المزخرفة، لكن اليوم أصبحت هذه السـوق تعاني من الركود والكساد.

❑ **بيروت** - تفـوح روائـح الزمـن الجميل في سـوق "العتّق" أو "الأنتيـك" في منطقة "البسطة التحتا" وسط بيروت وكأن التاريخ يتنفـس في المذيـاع القديم في هذا السـوق التـي ضربـت شـهرتها أصقـاع العالم في ستينات وسبعينات القرن الماضي.

وتمتد السـوق مـن إطفائية الباشـورة وصـولا إلى جسـر حـوض الولايـة لتروي محتوياتـه ذكريات الزمن الجميل، وتشـكو حاضرا يؤذن بالموت السـريري بعد أن طالت شـهرتها أصقاع العرب والغرب في ستينات وسبعينات القرن الماضي.

بـدأت نشـأة السـوق فـي أربعينـات وخمسـينات القـرن الماضي بجهـود فردية لأشـخاص عشـقوا هذه التحـف مثل محمد حمود، الملقب بـ"الباشا"، وهو أحد مؤسسـي السـوق، إضافة إلى كل من أبي علي مسـلّم، وجعفر شـرف الدين. ويذكر أصحاب السوق أشـخاصا آخريـن ارتبطوا بنشـأته، منهم أبوعلـي بديـر وأحمـد علـول وأبومحمـد حجـازي وأبوفـرج عمـار وإبراهيم سـعد، الذين سـاهموا في انتعاش هذه التجارة في الستينات واتسعت رقعة السوق لتضم أكثر مـن 100 محل لا زال معظمهـا صامدا، بينما استسلم بعضها لضغوط الحياة الاقتصادية وتخلى عن هذه التجارة.

ويقـول أحمـد مخزومي، أحـد أصحاب محال الأنتيك في منطقة البسطا "كانت سوق العتّق تعتمد علـى ثلاثة محال فقط، وعندما انتشـرت هذه التجـارة وذاع صيتهـا، ققز العدد إلى أكثر من مئة محل تجاري، والسوق أصبحـت مقصداً للسـياح الأجانب والعرب والمغتربين اللبنانيين".

وتجارة الأنتيك عشـق يرثـه التجار عن آبائهم لما فيها من بريق وفن، ويشـير حسين هزيمة إلى إنه ورث المهنة عن جده وهو يعمل الآن فـي المحل الذي تملكـه العائلة منذ 150 سـنة، يقول "أحببت هذه المهنة منذ صغري، وأعرف العديد من الهواة ومحبي اقتناء هذه التحف".

ويقـول حسـين، إن هـذه المهنـة جعلته يعـرف الكثيـر من نجـوم السياسـة والفن والأعمـال، تعرف إليهم من خلال تفتيشـهم عن تحف الأنتيك القديمـة، وتطورت علاقته بهم لأنه يؤمّن لهم التحف التي يرغبون فيها شـرط أن تكون أصليـة، مؤكـدا أن الأنتيك الأصلية لهـا تاريخ وجـذور، وكذلك قصور قديمة كانت فيها.

ويقـول التاجر علي ماجـد "أحببت هذه المهنة لأنها تتطلب فنا وذوقا رفيعا، وأربابها أصبحـوا يعـدون علـى أصابـع اليديـن، والخبـرة تلعب دورا كبيـرا في تحديد أصل التحفـة وعمرها، والقليـل القليل من يعرف خبايا وأسرار الشرقيات التي تحمل بصمات الفن العربي والحضارة الإسلامية".

وارتبطـت سـوق الأنتيـك بالطبقـة الأرسـتقراطية التي تتميز بشـغفها بالقطع القديمة النادرة، وتفتش عمن يمتلك ويقتني التحف والأثاث العتيـق، التي تزداد قيمتها يومـاً بعد يوم، بسـبب قدمهـا أو ارتباطها بأحداث تاريخية لتصبح ثروات حقيقية من الناحية المالية والمعنوية.

ويقـول محمـد حمـود أحد المؤسسـين لسـوق الأنتيـك إن حركـة البيع والشـراء كانت لها مواسـم معينة، والزبائن يقصدون السـوق من لبنان وخارجه، وطلبات الزبائن تنصب على التحف القديمة التي تمتلك تراثا وتاريخا، مضيفا أن هناك تحفا يعود تاريخ صناعتها إلى 130 عاما، والمعروضات تتراوح بـين القطع النحاسـية والزجاجية المزخرفة والخشبية من مختلف الأحجام، وتكون هذه التحف شـاهدة على حقبة من حياة شعوب اشتهرت بصناعة هذا الاختصاص.



قيمة التحفة في عمرها

يقسّـم الأنتيك إلى نوعين قديمة يتجاوز عمرها المئة عام، وحديثـة لا يتجاوز عمرها الخمسـين عاما، وتتوزع علـى ثلاثة أنواع، وهي الشرقي والإسلامي والأوروبي.

أمـا مقتنيات السـوق، بحسـب حمود، "فكانت فـي البدايات مقتصـرة على الأنتيك المحلي من حيّ السراسـقة وشـارع الحمرا والأحيـاء التراثية في بيـروت، وبعد تطور هـذه الصناعـة بـدأ التجـار يسـتوردون البضاعة من بلدان عدة، منها مصر وسوريا وتركيا ومن مختلف أنحاء أوروبا".

ويوضـح أن "قطـع الأنتيـك الحقيقيـة، التي يفوق عمرها المئة عـام، أصبحـت نـادرة اليـوم، وكلهـا ذهبت إلى بيوت البعض من المقتدريـن اللبنانيين وعشاق القديم، وإلى خـارج لبنـان، مثل الولايـات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا، أما الحديث الموجـود في السـوق اليوم فأغلبه شرقي من مصر وسوريا".

ويقسـم علي عزّو، صاحـب أحد المحال التجارية في السـوق، بضاعـة الأنتيك إلـى أنواع عديـدة، منهـا "المخطوطات والزجاجيات والخشـبيات والصدفيات".

ويفـرّق، بينها بوصفها "أنتيك باب أول، وأنتيـك بـاب ثانـي، ويعتمد معيـار هذين البابين عنده على عمر القطعة، وكمية الجهد اليدوي الذي استحقته من قبل صانعها".

ترميم الأنتيك فن

لا تصـل قطـع الأنتيـك التي يأتـي بها السماسـرة أو أصحابهـا الذيـن دفعتهـم الظـروف إلى التنازل عنها وبيعها سـليمة، بـل غالبا ما يخلف الزمن آثـاره عليها لذلك يوجد في السـوق خبراء ترميـم هذه القطع من اللبنانيين والمصريين وسـوريين خاصة والذين تعلموا المهنة منـذ الصغر، فإصلاح التحفـة يحتاج إلى صبر وخبرة في الترميم ومعرفـة بالمواد التـي سيسـتعملونها في إعادة ألق التحف وبريقها وحضورها.

يقول رضا عبـدة هنادي إنه تعلّم صناعة الموبيليا في دمياط ثـم تحوّل إلى حرفـة الترميم حـين هاجـر إلـى بيـروت، مضيفا أنـه اهتم بالترميم لأن القـديم أفخـم وأقوى وأجمـل مـن الموبيليـا الحديثـة، والترميم يتعلق غالبـا بالحفر الفنـي الموجـود في الأثاث القديم، لذلك يفترض في المرمم أن يكون عارفا وقادرا على استدراك النواقص.

ويقـول إن مهنـة ترميم الخشـب تعتمـد علـى هواية الشـخص وحبـه لها، ويشـرح طريقتهـا بأنها تكون بفك الشـيء القـديم، قطعة قطعـة، وترمم قطعـة قطعة، وتغيير القطع المكسـورة أو التي تحتاج إلى تغيير، وترمم بواسطة الخشب القديم نفسه، ويتم علاجه ضد السـوس وتجهيزه ودهانه، بالشمع للحفاظ عليه، حتى يظهر كله بخشب واحد وبلون واحد أيضا.

ويؤكد رضـا أن الشـباب لا يقبلون على تعلّم مهنة ترميم قطع الأنتيك لأنهم يعتقدون أنهـا مهنـة آيلـة إلى الـزوال أمـام التقدّم التكنولوجي وتراجع هواية جمع التحف في صفوف الأجيال الجديدة.

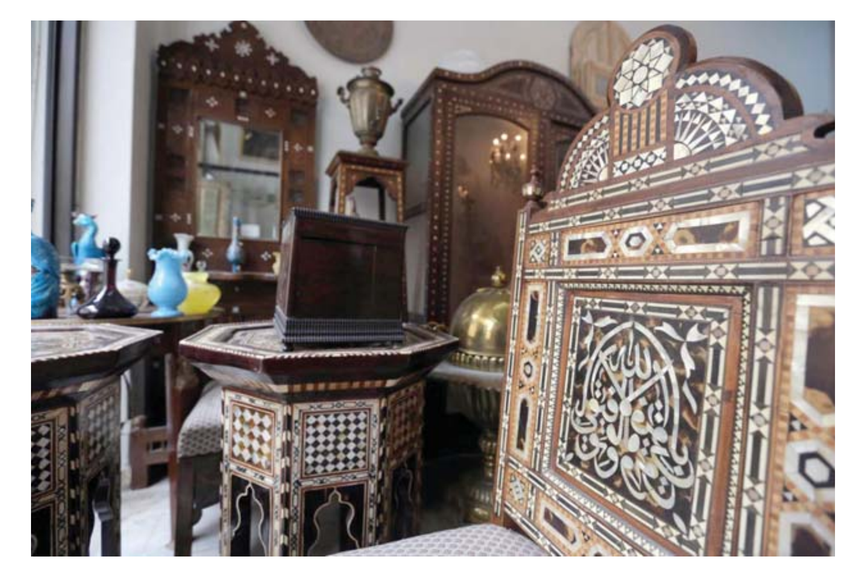
ويشـير إلـى أن القطـع القديمـة بدأت بالتلاشـي تمامـا وأصبحـت من الأشـياء النـادرة، موضحا أن أسـعار القطع القديمة الأصلية تظل دائمـا غالية الثمن، لأن الناس يبحثون عنها باعتبارها قطعة تراثية.

> "قطع الأنتيك الحقيقية، أصبحت نادرة اليوم، وكلها ذهبت إلى بيوت الأثرياء وعشاق القديم"

ركود في البيع والشراء

عن حركة البيع والشـراء في سوق الأنتيك، يقول محمد حمود إن "الحركة الشـرائية معدومة. الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها السـوق اليوم لا يمكن فصلها عن أزمة البلد بشكل عام، والتي بدأت قبل العديد من السنوات".

ويوضـح "كان اعتمادنـا كلـه على السـائحين الأجانب والعـرب، وخاصة الخليجيين، ومع تراجع الحركة السـياحية في البلـد، نتيجة تـردّي الأوضاع السياسـية والأمنيـة، تراجعـت حركـة السـوق أكثر مـن 70 بالمئة عمـا كانـت عليـه فـي السنوات الماضية".



للتحف الشرقية عشاقها

ويعيد ركود الحركة التجاريـة في السـوق إلى أسـباب عدّة، على رأسـها "الأزمـات التي مـرت على لبنـان، وغياب الدعـم الحكومي لهذه التجارة، وغياب ثقافة الأشـياء القديمة لدى الجيـل الجديد، الذي اعتاد على التطور والتكنولوجيا".

وبجانب الأزمـة الاقتصادية التي يعانيها لبنـان، وتراجـع الحركـة السـياحية، يعزو أحمـد علـول، أحـد تجـار السـوق، تدهور الحركـة التجارية إلـى أن "أصحـاب المهنة الحقيقيـون قـد ماتـوا، والجيـل الجديد لا علاقة له بالمهنة وغياب ثقافة الأشياء القديمة لـدى الجيل الجديد الذي اعتـاد على التطور والتكنولوجيا".

ويضيف أن "التجار الجدد خرّبوا السوق؛ بسـبب جهلهـم بقواعـد المنافسـة والبيـع والشـراء، حيث يعرّضون الزبون للوقوع في فخ شراء البضاعة المقلّدة، وهذا ما يؤثر على سمعة السوق".

ويـرى علـول أن "لفتة اهتمام مـن بلدية بيروت والوزارات المعنية (الثقافة والسياحة) لإعادة تأهيل السـوق وإعـادة إحيائها بمهرجانـات تراثيـة بنكهـة القـدم، يمكـن أن تخفف وقـع المعاناة على سـوق كانت من بين الأهم والأكثر شهرة من بقية الأسواق منذ عشـرات السـنين، وتحولّـت محلاتهـا اليوم بسـبب ركود الحركـة الشـرائية، إلـى مجرد صناديق للذكرى ومراكز للتفرّج".

ويؤكـد صاحب محـلات قبلان في سـوق الأنتيك أنه "لـم تمرّ على السـوق أزمة كالأزمة المسـتمرة منذ سـنوات وهي سـائرة نحو بالتفاقم"، ورغـم أنه لجأ إلـى سياسـة التنزيلات على أمـل جذب الزبائن، ولكـن دون جدوى، وعزا قبلان ركود الحركة إلى نوع هذه التجارة التي تعتبر من الكماليات، ومن المعروف أن الإنسان يتخلى عن الكماليات في أزماته الاقتصادية".

ويـرى حاجة سـوق الأنتيك إلـى اهتمام بما يتناسـب مع مهمّتـه ودوره كمعلم تراثي وسـياحي في العاصمـة، إذ تتنوّع فيه محال ومعروضـات تتميّـز بتراثيّتهـا وفنونهـا الجميلة كأنّ رائحة الذكريات تلامس الحاضر والمستقبل.

ويرى قبلان ضرورة تسـهيل حركة الناس في الشـارع بتوفير مواقف للسيارات وتنظيم حركـة السـير وإنـارة الشـارع بمـا يتلاءم وتراثيتـه. فالطابـع القديم للسـوق يفترض تحويله إلى معلم سـياحي وتراثـي بارز لأنّ فيه ما يؤهّله لذلك.

وحسـب رأيه فان السـوق يُحاكي التراث البيروتي العريق الـذي يجب ربطه بالحداثة والعصرنـة ليشـعر من يمرّ فيـه بعبق الإرث والجمال والحداثة والأصالة.

